(٢٠)

مسألة في تفضيل الانبياء عليهم السلام على الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمدلله رب العالمين ،والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً][1] .

اعلم أنه لاطريق من جهة العقل الى القطع بفضل مكلف على آخر ، لان الفضل المراعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب، ولاسبيل الى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات ، لأن الطاعتين قد تتساوى في ظاهر الامر حالهما [2] وان زاد ثواب واحدة [3] على الاخرى زيادة عظيمة .

واذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع، فان دل سمع مقطوع به من ذلك على شيء عول عليه، والا كان الواجب التوقف عنه والشك فيه .

---

١) الزيادة من الامالي .

٢) كذا في الامالي ، وفي أ «وان الطاعتين قد يتساوى . . . حال بقبا» .

٣) في أ : واحد .

وليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحته[1] ما يدل على فضل نبي على ملك ولا ملك على نبي ، وسنبين أن آية واحدة مما يتعلق[2] به في تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن أن يستدل بها على ضرب من الترتيب نذكره .

والمعتمد في القطع على أن الانبياء أفضل من الملائكة اجماع الشيعة الامامية [على ذلك][3] ، لانهم لايختلفون في هذا ، بل يزيدون عليه ويذهبون الى أن الائمة عليهم السلام أفضل من الملائكة. واجماعهم حجة لان المعصوم في جملتهم .

وقد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبناه وأجبنا عن كل سؤال يسأل عنه [فيها][4] ، وبينا كيف الطريق مع غيبة الامام الى العلم بمذاهبه وأقواله وشرحنا ذلك ، فلا معنى للتشاغل به هاهنا .

ويمكن أن يستدل على ذلك بأمره تعالى الملائكة[5] بالسجود لادم عليه السلام، وأنه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه واكرامه. واذا كان المفضول لايجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل ـ علمنا أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة .

وكل من قال ان آدم عليه السلام أفضل من الملائكة ذهب الى أن جميع الانبياء أفضل من جميع الملائكة[6] ، ولا أحد من الامة فرق[7] بين الامرين .

---

١) فى الامالى : على صحة .

٢) فى أ : أن واحدة مما يعلق به .

٣) الزيادة من الامالى.

٤) الزيادة من الامالى .

٥) فى الامالى : للملائكة .

٦) فى أ : جماعة الملائكة .

٧) فى الامالى : فصل .

فان قيل : من أين أنه أمرهم بالسجود [له] [1] على وجه التعظيم والتقديم؟

قلنا : لايخلو تعبدهم له بالسجود من أن يكون على سبيل القبلة والجهة من غير أن يقترن به تعظيم وتقديم أو يكون على ما ذكرناه، فان كان الاول لم يجز [2] أنفة ابليس من السجود وتكبره عنه وقوله : « أرأيتك هذا الذي كرمت علي » [3] وقوله : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » [4] .

والقرآن كله ناطق بأن امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة، ولو لم يكن الامر على هذا لوجب أن يرد الله تعالى عليه [5] ويعلمه أنه ما أمره بالسجود على جهة تعظيمه له [عليه] [6] ولا تفضيله ، بل على الوجه الاخر الذي لاحظ للتفضيل [والتعظيم] [7] فيه وما جاز اغفال ذلك ، وهو سبب معصية ابليس وضلالته، فلما لم يقع ذلك دل على أن الامر بالسجود لم يكن الا على جهة التفضيل والتعظيم، وكيف [يقع] [8] شك في أن الامر على ما ذكرناه وكل من أراد [9] تعظيم آدم عليه السلام ووصفه بما يقتضي الفخر والشرف نعته باسجاد الملائكة ، وجعل ذلك من أعظم فضائله ، وهذا مما لاشبهة فيه .

فأما اعتماد بعض أصحابنا في تفضيل الانبياء على الملائكة على أن المشقة

---

١) الزيادة من أ .
٢) فى أ : لم يجب .
٣) سورة الأسراء : ٦٢ .
٤) سورة الاعراف : ١٢ .
٥) فى الامالى : عنه .
٦) الزيادة من أ ، وفى «ن» عليها .
٧) الزيادة من أ .
٨) الزيادة من الامالى .
٩) فى الامالى : وكل نبى أراد .

في طاعات [١] الانبياء عليهم السلام أكثر وأوفر ، من حيث كانت لهم شهوات في القبائح ونفار عن [فعل] [٢] الواجبات . فليس بمعتمد ، لانا نقطع على أن مشاق الانبياء أعظم من مشاق الملائكة في التكليف، والشك في مثل ذلك واجب وليس كل شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه .

ونحن نعلم على الجملة أن الملائكة اذا كانوا مكلفين فلابد أن تكون [٣] عليهم مشاق في تكليفهم، ولولا ذلك ما استحقوا ثواباً على طاعاتهم [٤]، والتكليف انما يحسن في كل مكلف تعريضاً للثواب ، ولا يكون التكليف عليهم شاقاً الا ويكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عما أوجب [عليهم] [٥] .

واذا كان الامر على هذا فمن أين يعلم أن مشاق الانبياء عليهم السلام أكثر من مشاق الملائكة ؟ واذا كانت المشقة عامة لتكليف الامة [٦] ، ولا طريق الى القطع على زيادتها في تكليف بعض وتفضيلها على تكليف آخرين [٧] ، فالواجب التوقف والشك .

ونحن الان نذكر شبه [٨] من فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام ونتكلم عليها بعون الله تعالى :

فمما تعلقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن ابليس مخاطباً لادم وحواء

---

١) في الامالي : في طاعة .
٢) الزيادة من أ .
٣) في أ : فلابد أن يكون .
٤) في أ : طاعتهم .
٥) الزيادة من أ .
٦) في أ و«ن» : لتكليف الحاجة .
٧) في أ و«ن» : على تكليف آخر.
٨) في أ : شبهة .

عليهما السلام : « مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الأأن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين »[1] فرغبهما بالتناول من الشجرة [ليكونا][2] في منزلة الملائكة حتى تناولا وعصيا ، وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة هي دون منزلته ، حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته ، وهذا يقتضي فضل الملائكة على الانبياء .

وتعلقوا أيضاً بقوله تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » [3] وتأخير ذكر الملائكـة في مثل هذا الخطـاب يقتضي تفضيلهم [4] ، لان العادة انما جرت بأن يقال :« لن يستنكف الوزير أن يفعل كذا ولا الخليفة » فيقدم الادون ويؤخر الاعظم ، ولم يجز أن يقول : «لن يستنكف الامير أن يفعل [كذا] [5] ولا الحارس » ، وهذا يقتضي تفضيل [6] الملائكة على الانبياء .

وتعلقوا بقوله تعالى : « ولقد كرمنـا بني آدم وحملنـاهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » [7] قالوا : وليس بعد بني آدم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة « من » التي لاتستعمل الا في العقلاء الا الجن والملائكة، فلما لم يقل « وفضلناهم على من [خلقنا] [8] » بل

---

١) سورة الاعراف : ٢٠ .
٢) الزيادة من الامالى .
٣) سورة النساء : ١٧٢ .
٤) فى أ : يقضى بفضلهم .
٥) الزيادة من الامالى .
٦) فى أ و«ن» : فضل .
٧) سورة الاسراء : ٧٠ .
٨) الزيادة من أ .

قال «على كثير ممن خلقنا» علم أنه انما أخرج الملائكة عمن فضل بني آدم عليه، لانه لاخلاف في أن بني آدم أفضل من الجن، واذا كان وضع الخطاب يقتضي مخلوقاً لم يفضل بنو آدم عليه [1] فلا شبهة في أنهم الملائكة .

وتعلقوا بقوله تعالى : « ولاأقول لكم عندي خزائن الله ولاأعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك » [2] فلولا أن حال الملائكة أفضل من حال النبي لماقال ذلك .

فيقال لهم فيما تعلقوا به أولا : لم زعمتم أن قوله تعالى : « الا أن تكونـا ملكين » معناه أن تصيرا وتنقلبا [3] الى صفة الملائكة ، فـان هذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم ، بل أحسن الاحوال أن تكون محتملة له .

وما انكرتم أن يكون المعنى أن المنهي عن تناول الشجرة غيركما وأن النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما . ويجري ذلـك مجرى قول أحدنا لغيره «مانهيت أنت عن كذا الا أن تكون فلاناً» وانما يعني أن المنهي هو فلان دونك، ولم يرد الا أن تنقلب فتصير فلاناً. ولما كان غرض ابليس القاء [4] الشبهة لهما فمن أوكد الشبه ليهاماً [5] انهما لم ينهيا وانما المنهي غيرهما .

ومن وكيد ما يفسد به هذه الشبهة أن يقال : ماأنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلبا الى صفة الملائكة وخلقتهم [6] كما رغبهما ابليس في ذلك، ولا تدل هذه الرغبـة على أن الملائكة أفضل منهما، لان المنقلب [7] الى خلقة غيره لا يجب أن

---

١) في الامالي : عليهم .

٢) سورة الانعام : ٥٠ .

٣) في أ و«ن» : وتبدلا .

٤) في الامالي و«ن» : ايقاع .

٥) في أ : فمن أوكدالشبهة ايهامهما .

٦) في الامالي : وخلقهم .

٧) في الامالي : لانه بالتقلب .

يكون مثل ثوابه له ، فان الثواب لاينقلب ولا يتغير[1] بانقلاب الصور والخلق، فانه انما يستحق على الاعمال دون الهيئات .

وغير ممتنع أن[2] يكونا رغبا فى أن يصيرا على هيئة الملائكة وصورها ، وليس ذلك برغبة في الثواب ولا الفضل، فان الثواب لايتبع الهيئات والصور. ألاترى أنهما رغبا في أن يكونا من الخالدين ، وليس الخلود مما يقتضي مزية في ثواب ولا فضلا فيه ، وانما هو نفع عاجل ، وكذلك لا يمتنع أن[3] تكون الرغبة منهما في أن يصيرا[4] ملكين انما كانت على هذا الوجه .

ويمكن أن يقال للمعتزلة خاصة وكل من أجاز على الانبياء الصغائر: ماأنكرتم أن يكونا اعتقدا أن الملك أفضل من النبي وغلطا في ذلك وكان منهما ذنباً صغيراً، لان الصغائر تجوز[5] عندكم على الانبياء، فمن أين لكم اذا اعتقدا أن الملائكة أفضل من الانبياء ورغبا في ذلك[6] أن الامر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب .

وليس لهم أن يقولوا : ان الصغائر انما تدخل[7] في أفعال الجوارح دون القلوب ، لان ذلك تحكم بغير برهان ، وليس يمتنع[8] على أصولهم أن تدخل الصغائر في أفعال القلوب والجوارح معاً ، لان حد الصغير عندهم « ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله »، وليس يمتنع[8] معنى هذا الحد في أفعال القلوب

---

١) فى ن : ولا ينقلب .
٢–٣) فى أ : فى أن .
٤) فى أ : تصيرا .
٥) فى أ : يجوزا .
٦) فى أ : بذلك .
٧) فى أ و «ن» : انما الصغير انما يدخل .
٨) فى ن فى الموضعين : بممتنع .

كما لم يمتنع [1] في أفعال الجوارح .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثانياً : ماأنكرتم أن يكون هذا القول انما يوجه[2] الى قوم اعتقدوا أن الملائكـة أفضل من الانبياء فأخرج الكلام على حسب اعتقادهم، وأخر ذكر الملائكة لذلك. ويجري هذا القول مجرى من قال [منا][3] لغيره : « لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك » ، وان كان القائل يعتقد أن أباه أفضل، وانما أخرج الكلام على [حسب][4] اعتقاد المخاطب لا المخاطب.

ومما يجوز أن يقال أيضاً: انه لاتفاوت في الفضل بين الانبياء والملائكة عليهم السلام وان ذهبنا الى أن الانبياء أفضل منهم ، ومع التقارب [5] والتداني يحسن أن يؤخر ذكر الافضل الذي لاتفاوت بينه وبين غيره في الفضل ، وانما مع التفاوت [6] لا يحسن ذلك . ألا ترى أنه يحسن أن يقول القائل : « ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان [من كذا] »[7]، وان كانا[8] متساويين متناظرين أو متقاربين ، ولا يحسن أن يقول : « ما يستنكف الامير من كذا ولا الحارس » لاجل التفاوت .

وأقوى من هذا أن يقال : انما أخر ذكر الملائكة عليهم السلام عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة أكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً ، وهذا لا

---

١) في أ : كما لم يمنع .
٢) في الامالي : انما توجه .
٣) الزيادة من الامالي .
٤) الزيادة من الامالي .
٥) في أ : التفاوت .
٦) في الامالي : التفاوت والتداني .
٧) الزيادة من الامالي .
٨) في الامالي : وان كان .

يقتضي أن كل واحد منهم أفضل من المسيح ، وانما الخلاف فى ذلك .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثاً : مـا أنكرتم أن يكون المراد بقوله تعالى : « على كثير ممن خلقنا تفضيلا » أنا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير، ولم يرد التبعيض . ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا »[1] والمعنى[2] لا تشتروا بها ثمناً [قليلا][3] وكل ثمن تأخذونه عنها قليل، ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة .

ومثله قول الشاعر :

من أنـاس ليس في أخـلاقهم   عاجل الفحش ولا سوءالجزع[4]

وانما أراد نفي الفحش كله عن أخلاقهم وان وصفه بالعاجل، ونفي الجزع عنهم وان وصفه بالسوء .

وهذا من غريب البلاغـة ودقيقها ، ونظـائره في الشعر والكلام الفصيح لاتحصر[5] .

وقد كنا أملينا في تأويل هذه الاية كلاماً مفرداً استقصيناه[6] وشرحنا هذا الوجه واكثرنا من ذكر أمثلته .

ووجه آخر فى تأويل هذه الاية، وهو أنه غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة عليهم السلام أفضل من جميع بني آدم ، وان كان في جملة بني آدم من الانبياء

---

١) سورة البقرة : ٤١ .
٢) فى الامالى : معناه .
٣) الزيادة من الامالى .
٤) لسويد بن أبي كاهل اليشكرى ـ المفضليات ص ١٩١ ـ ٢٠٢ .
٥) فى أ : لايحصى.
٦) فى أ : أسقطناه وفى «ن» لاتحصى .

عليهم السلام من يفضل كل واحد [منهم] [١] على كل واحد من الملائكة، لان الخلاف انما هو في فضل كل بني آدم [٢] على كل ملك . وغير ممتنع أن يكون جميع الملائكة فضلاء يستحق كل واحد منهم الجزيل الكثير [٣] من الثواب ، فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم ، لان الافاضل من بني آدم أقل عدداً ، وان كان في بني آدم آحاد كل منهم أفضل من كل واحد من الملائكة .

ووجه آخر ممايمكن أن يقال في هذه الاية أيضاً: ان مفهوم الاية اذا تؤملت يقتضي أنه تعالى لم يرد الفضل الذي هو زيادة الثواب، وانما أراد النعم والمنافع الدنيوية . ألا ترى قوله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم»، والكرامة انما هي الترفيه ومايجري مجراه. ثم قال: «وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات»[٤]. ولا شبهة في أن الحمل لهم في البر والبحر ورزق الطيبات خارج عما يستحق به الثواب، ويقتضي التفضيل الذي وقع الخلاف فيه[٥]، فيجب أن يكون ماعطف عليه من التفضيل داخلا في هذا الباب وفي [٦] هذا القبيل، فانه أشبه من أن يراد به غير ما سياق الاية وارد به ومبني عليه . وأقل الاحوال [٧] أن تكون لفظة « فضلناهم » محتملة للامرين ، فلا يجوز الاستدلال [٨] بها على خلاف ما نذهب اليه .

---

١) الزيادة من الامالي .

٢) في أ : كل نبي .

٣) في الامالي : الاكثر .

٤) سورة الاسراء : ٧٠ .

٥) في الامالي : وقع اطلاقه فيه .

٦) في أ و«ن» : ومن .

٧) في أ : وأحسن الاحوال .

٨) في أ و«ن» : أقل الاستدلال .

ويقال لهم فيماتعلقوا به رابعاً: لا دلالة في هذه الاية على أن حال الملائكة أقضل من حال الانبياء[1]، لان الغرض فى الكلام انما هو نفي ما لم يكن عليه، لا التفضيل لذلك على ماهو عليه. ألا ترى أن أحدنا لوظن [به][2] أنه على صفة[3] وليس عليها جاز أن ينفيها[4] عن نفسه بمثل هذا اللفظ وان كان على أحوال هي أفضل من تلك الحال[5] وأرفع .

وليس يجب اذا انتفى مماتبرأ منه[6] من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده أن يكون فيه فضل أن يكون ذلك معتمداً فى كل مايقع النفي له والتبرؤ منه، واذا لم يكن ملكاً كما لم يكن عنده خزائن الله جاز أن ينتفي من الامرين، من غير ملاحظة لان حاله دون هاتين الحالتين .

ومما يوضح هذا ويزيل الاشكال فيه أنه تعالى حكى عنه في آية أخرى : « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً »[7] ونحن نعلم أن هذه منزلة غير جليلة[8] وهو على كل حال أرفع منها وأعلى، فما المنكر من أن يكون نفي الملكية عنه في أنه لايقتضي أن حاله دون حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة. والتعلق[9] بهذه الاية خاصة ضعيف جداً، وفيما أوردناه كفاية [وبالله التوفيق][10].

---

١) فى أ و«ن» : من حال النبى .
٢) الزيادة من أ و«ن» .
٣) فى الامالى : على صفة الملائكة .
٤) فى أ و «ن» : ينفيه .
٥) فى أ و «ن» : الاحوال .
٦) فى أ و «ن» : اذا اتفق فيما تبرأ به .
٧) سورة هود : ٣١ .
٨) فى أ و «ن» : على أحوال .
٩) فى أ و«ن» : والتعليق .
١٠) الزيادة من الامالى ، وفى «ن» : ولله الحمد والمنة .